فاعلية الحجاج شبه المنطقي القائم على العلاقات الرياضية في خطاب المؤمنين والكافرين

الباحث : هشام عبد الشيخ سالم

أ.د. محمد جواد البدراني

جامعة البصرة – كلية التربية. القرنة

ملخص البحث:

سعى هذا البحث إلى دراسة ظاهرة الحجاج في الخطاب القرآني المقدس من خلال إبراز التقنيات الحجاجية التي أشار إليها بيرلمان وزميله تيتكا في نظريته الحجاجية ، التي قُسمت إلى اتصالية وانفصالية ، التي خصها البحث الاتصالية منها ، التي شملت الحجج شبه المنطقية ، وتطرقنا فيها إلى الحجج التي تعتمد على العلاقات الرياضية ، التي شملت حجج التعدية والمقارنة ، فقد عملت هذه الحجج على إثارة عقول المتلقين ، وتغيير تصوراتهم الذهنية مما يؤدي بهم إلى الاقناع .

كلمات مفتاحية : فاعلية الحجاج ، العلاقات الرياضية ، خطاب المؤمنين والكافرين .

Abstract:

This research sought to study the phenomenon of pilgrims in the sacred Qur'an discourse by highlighting the arguments techniques that Perelman and his colleague Tetka referred to in his Hajj theory, which was divided into communicative and separatist, and which was singled out by the research, which included semi-logical arguments, in which we dealt with the arguments that depend On the mathematical relations, which included transitive arguments and comparison, these arguments stirred the minds of the recipients, and changed their mental perceptions, leading them to persuasion .

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤(أ) – المجلد ٤٦ – تشرين الأول لسنة ٢٠٢١

التمهيد :

أشار البلجيكي بيرلمان وزميله تيتكاه في نظريتهِ الحجاجية إلى التقنيات الحجاجية ، التي يسعى المحاجج من خلالها إلى الوصول للغاية الاستدلالية للحجاج ، ولعل ذلك يعود إلى أن الحجاج ما هو إلا ((جملة التقنيات التي تراعي توظيف الحجة وبنائها بكيفية فنية ، إضافة إلى كونهِ جملة التقنيات التي تراعي دراسة الاختيارات اللامنطقية والبراغماتّية على مستوى السياق اللغوي)) . [١] فمن المعلوم أن البلاغة الجديدة تستند وتتمحور بصورة اساسية حول تحليل التقنيات الحجاجية ، وهذه التقنيات يتم طرحها وتوظيفها على محورين مهمين ، الأول : من جهة محور الخطاب على المتلقي ، وذلك من خلال علاقتهِ بقصدية المنتج لهذا الخطاب ، والثاني : من جهة محور الخطاب ذاته ، خاصة بنيات الحجاج الموضوعة موضع التنفيذ [٢] ، ففي هذه الحالة تجري دراسة الحجج وتصنيفها ، أما في الحالة الأولى تتم دراسة الموقف التواصلي الذي يمثل حدث الحجاج [٣] ، ومن ثمَّ لا يعني كون حال الحجاج حشد الحجج وربط مفاصل الكلام وفقراته ، ومدى تعلق بعضه بالبعض الآخر فقط ، بل يعني أن في الحجاج كذلك جملة من الاختيارات والجوانب الاخرى على مستوى المعجم والتركيب وكذلك أزمنة لأفعال وصيغ الكلمات وأنواع الصور ومصادر التصوير وغيرها الكثير ... وكذلك فيه اختيارات تراعي غاية الخطاب وتستجيب لعلاقة صاحب الخطاب الحجاجي بالمتلقي لذلك الخطاب (المُحَاجَج) وتلائم وضع ذلك المتلقي ومقتضيات المقام . [٤]

وقد شُغل عدد من الباحثين بدراسة وتتبع التقنيات الحجاجية وتحديد أطرها وأنواعها ، أشكالها ومجالاتها ، فمنهم من جعلها (التقنيات الحجاجية) تسعة أنماط كما هو الحال عند (تولمن وجانيك)، حجج . التماثل ، وحجج التعميم ، وحجج العلاقة ، وبالسبب أو السلطة ، وبالمأزق ، وبالتصنيف ، والمتعرضين ، وبالدّرجة [٥] .

وإذا أردنا الغوص في غمار البنية الحججاية وتقنياتها في الخطاب القرآني المقدس فإننا نجد عدة تصنيفات لتلك التقنيات والحجج التي تستخدم ضمن العملية الحجاجية ، إلا إننا اعتمدنا تصنيف بيرلمان وتيتكاه في كتابهما المسمى (مصنف في الحجاج : الخطابة الجديدة) لاعتمدنا هذه النظرية بوصفها النظرية الرئيسة في بحثنا لاعتقادنا أنها أنضج النظريات الحجاجية المطروحة حتى وقتنا الحالي فضلاً على أن هذا التصنيف هو الذي اعتمده أغلب الباحثين والدارسين في مجال الحجاج وبخاصة الحجاج القرآني ومنهم الدكتور عبد الله صولة ، الذي اهتم بالحجاج وأوضح ذلك بشكل دقيق في دراسة لهذه النظرية ضمن كتاب (في نظرية الحجاج – دراسات وتطبيقات) وكتابه الحجاج في القرآن الكريم وكذلك اعتمد بعده هذا التصنيف عدد من الباحثين في دراستهم في الحجاج إلى الآن[٦].

إنّ هذا التصنيف يبدو مقنعاً ؛ لأنه يبرز الفوارق بين الحجج ويظهر الاختلافات الدقيقة بينها ، ويحيط بكل الحجج تقريباً على نحو يصعب معه العثور على حجة لا يمكن ردها إلى أحد الأصناف المعتمدة في هذا التصنيف إلا أن هذا التصنيف ، لا يخلو من بعض الملاحظات والاشكالات التي من أهمها أنه يمكن رد حجة

ما إلى أكثر من تصنيف وذلك لاتساع الخطاب القرآني على أكثر من تأويل فهو بطبيعته (حمّال ذو وجوه) وكذلك طبيعة الحجاج التي غالباً ما تكون بعيدة عن الصرامة والدقة التي لا نجدها إلا في مجال البرهنة في المجال العلمي وقد أطلق عليها الباحثان بيرلمان وتيتكاه مسمى (تقنيات الحجاج) وتكون هذه التقنيات الحجاجية على نوعين ، أي تدور حول طريقتين (ضمن جنسين كبيرين) [٧] :

١- **الطرائق الاتصالية أو الوصل** Procdes de Liaison أو (الحجج القائمة على الوصل) .

٢- **الطرائق الانفصالية أو الفصل** Procdes de diaison de dissociation أو (الحجج القائمة على الفصل) .

فالقسم الأول وهي الحجج أو الطرائق القائمة على الوصل أو الاتصالية وتنقسم إلى أشكال أو أنواع عدة هي :

١- **الحجج شبه المنطقية** (Les argumentum quasit–logiques) .

٢- **الحجج المؤسَّسة على بنية الواقع** (Les argumentum fonde's sur la structure dureel) .

٣- **الحجج المؤسَّسة لبنية الواقع** (Les argumentum qui fondent la structure dureel) .

فهذه الحجج الثلاث هي الحجج القائمة على الوصل عند أغلب الباحثين وهي الحجج الاتصالية الرئيسة ، لكن بعض الباحثين أضاف نوعين آخرين من الحجج الاتصالية [٨] :

٤- **الحجج التي تستدعي القيم** (valeurs) Les argumentum fonde's sur les .

٥- **الحجج التي تستدعي المشترك** (commun) Les argumentum bases surle .

وسوف نتناول الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية بشكل مفصل تنظيراً وتطبيقاً في الخطاب القرآني المقدس .

الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية

يعتمد هذا النوع من الحجج بصورة عامة على القواعد الرياضية وتستمد قوتها وطاقتها الاقناعيّة الحجاجية من هذه القواعد الرياضية [٩] ، وأخذت هذه الصبغة (الرياضية) لأنها تتيح إقامة علاقة تكون عقلية بين العناصر المشكلة للقول ، مما يجعلها ذات طاقة إقناعية مؤثرة . وهذه الحجج لها أنواع عدة:

أ- **حجج التعدية** : وتقسم إلى :

١- **حجة إدماج الجزء في الكل أو التضمين .**

٢- **حجة التفريع (تقسيم الكل إلى اجزائه) أو التقسيم .**

٢- **حجة المقارنة .**

يمكن أن نعد (حجة التعدية) من الحجج التي تعتمد على العلاقات الرياضية بل من أهمها على الأطلاق [١٠] ، التي عدها بعض من كتب في هذا المجال انها من التي تعتمد على البنى المنطقية والتي سوف نتناولها بشكل مفصل نظريا وتطبيقاً .

أ-**حُجج التعدية** (L`argument de transitivite)

تُعد حجج التعدية من الحجج شبه المنطقية من دون اختلاف لكنها أختلف فيها هل هي من الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على البنى المنطقية أم تعتمد على العلاقات الرياضية ، فقد أنقسم الباحثون فيها فمنهم من جعلها تعتمد على العلاقات الرياضية وهو الأعم – وهو الذي نتبناه في بحثنا – وبعضهم من جعلها جزءاً من التي تعتمد البنى المنطقية ، ومنهم من تجاوز ذلك بان جعل تقسيمة الحجج شبه المنطقية دون التطرق إلى المعتمدة على البنى المنطقية أو الرياضية وتتصف التعدية بذات خاصية شكلية أو صورية تتصف بها بعض العلاقات التي تقوم على استنتاج علاقات انطلاقاً من توظيف عنصر ثالث يتم المرور به أو عبره لتأكيد العلاقة بين العنصرين الأول والثاني [١١] ، وفي أغلب الاحيان يُضرب مثالاً على ذلك (عدو عدوي صديقي) وغالباً ما تستخدم الحجج التعدية في الحالات التي يتعلق الأمر بتنظيم أحداث أو كائنات لا تتوفر فيها أن تتحقق امكانية المواجهات أو المقابلة المباشرة فيما بينها ، وتعتمد على التعدية على الاستنتاج والقياس أو الاستدلال القياسي [١٢] ، فجاءت التعدية تعمل على تأسيس للطاقة الحجاجية ، كونها تعتمد القواعد الرياضية التي تشكل خلفيتها ونسيجها الداخلي العميق ومصدراً رئيساً لمعينها الاقناعي[١٣] .

وتتميز التعدية ببعض العلاقات على سبيل المثال التضمين وعلاقة التساوي وعلاقة التفوق وعلاقة التقسيم .

وإن حجة التعدية تقوم على العلاقة المنطقية التي تقوي وتدعم حجتها وقوتها الاقناعية من خلال أثرها عقلاً وعاطفةً في الجمهور (المتلقي) [١٤] ، وتأخذ حجج ((التعدية شكل البرهان أو المتوالية المنطقية)) [١٥] ، ونجد ذلك بارزاً في الخطاب القرآني كونه خطاباً إرشادياً إقناعياً مثلما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [١٦]

نجد في الآية القرآنية الكريمة خطاباً حجاجياً دار بين النبي الأكرم محمد (صل الله عليه واله) و النصارى بشأن كيفية خلق عيسى (عليه السلام) كونه ولد من غير أب لأن التعدية تعد محصلة للشكل والقياس المقدم ، أي أنها تعتمد على القياس الارسطي في البرهنة والاقناع .

ففي الآية الشريفة ورد حجج واستعمل حجة التعدية في هذا الخطاب القرآني من أجل اقناع المتلقي ، أو أفحامهم ورد دعواهم في عيسى (عليه السلام) ، فنجد علاقة التعدية من خلال توظيف عنصر (التراب) في الخلق فتكون حجة التعدية باستخدام القياس كالتالي :

- **إن عيسى كآدم (أي يشبهه في الخلق) = أ .**
- **وآدم خلق من تراب = ب .**
- **إذا عيسى خلق من تراب (النتيجة) = ج .**

نلاحظ في الخطاب القرآني الحجاجي استخدام حجة التعدية من أجل إقناع المتلقي (الجمهور) عن خلق عيسى (عليه السلام) مما يجعل المُحاجج يقتنع ويذعن عن طريق الاتيان بالمثل له أو أكثر منه (آدم) فنصل إلى أ = ج ، والكثير من الأمثلة التطبيقية من الآيات القرآنية الشريفة التي لا يتسع المقام لذكرها .

وكذلك من حجج التعدية ما يكون على أساس (التفوق) وهي العلاقات التي تعتمد على مبدا المقارنة والمفاضلة بين قضيتين مشتركتين وغالباً ما تستعمل فيها عبارات (أفضل من ، وأكثر من ، أعز منك .....) ، من أجل الاقناع وإقامة الحجة لدى الخصم (المتلقي) كما في قوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ (١٧)

فنلاحظ في الآية الشريفة خطاباً حجاجياً من الباري عزّ وجل على لسان نبيه الأكرم إلى الكافرين ، وتمثل الخطاب الحجاجي من خلال استعمال الحجج التي فيها حجة التعدية (التفوق) وكما يأتي :

- [((**الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**)) كفار الأمم السابقة (أشد قوة وأكثر آثاراً وأعماراً) (ب) هم أشد قوة وأكثر اعماراً من كفار قريش (أ)]

- [أباد الله كفار الأمم السابقة بالرغم من قوتهم وقدرتهم على اعمار الأرض (ج)]

- [**النتيجة :** سَيُبيد الله كفار قريش كما أباد كفار الأمم السابقة الذين هم أقوى منهم]

فالعلاقة التي ربطت بين هذه الأطراف هي علاقة التفوق حُكم الكُفر ، ولا يُمكن اعتبار (أ = ب) أي (كفار قريش لا تساوي كفار الأمم السابقة) وبسبب إمتناع المساواة وجود فعل التفضيل (أشد وأكثر) فـــ(ب) زادت عن (أ) في الكفر ، فهي حُجة تعدية سواء في العدد أو قوة الجسم والدليل الآية ((**وَأَثَارُوا الْأَرْضَ**)) وكذلك يمكن التساوي في الكفر لكن لا تساوي في القوة .

وتتضمن حجة التعدية أيضاً حجة التضمين (L`argument dinclusion) أو حجة إدماج الجزء بالكل ، وحجة التقسيم (L`argument de division) أو حجة التفريع تقسيم الكل إلى اجزائه.

- **فحجة التضمين :** تقوم على عدة اشكال وصور فهي تقوم إما من خلال تضمين الجزء في الكل فيصبح ما يصدق على الكل يصدق أيضاً على اجزاء ذلك الكل ، فتصبح بذلك قاعدة فتكون حجة شبه منطقية ويمكن الاستنتاج منها أيضاً : أن ما يمنع على الكل لا يسمح به للجزء (وليس العكس) ، أو من يستطع على الكثير يقدر على القليل (١٨) ، فنجد هذه الحجة (التضمين) في كثير من المواضع القرآنية ومنها في قوله تعالى : ﴿ **لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (١٩)

نلاحظ في الآية الشريفة خطاباً حجاجياً بين الله تعالى على لسان نبيه (أو يمكن ان يكون مع المؤمنين) وبين الكافرين بدليل الآية التي سبقت هذه الآية في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ** ﴾ (٢٠)

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤(أ) – المجلد ٤٦ – تشرين الأول لسنة ٢٠٢١

ففي الآية يرد الله تعالى على اعتراض وإنكار الكافرين على ان الخالق هو الله تعالى ويأتي بدليل وبرهان وحجة ، وهي ان من يستطيع ان يأتي بالكثير أو الكبير سيحصل ويقدر على القليل ، فان الله تعالى قد خلق السماوات والأرض وهذا شيء كبير وعظيم مقارنة بخلق الإنسان ، وهذا الدليل والحجة من حجج التعدية (التضمين) ويمكن عدها ((قائمة على أهم معايير القياس الأرسطي (مقدمة صغرى وكبرى ونتيجة))) [٢١] ، ويمكن تطبيق هذا على الآية الشريفة وتُحلل كما يأتي :

- [**مقدمة كبرى** : إن الله خلق السماوات والأرض]

- [**مقدمة صغرى** : إن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الإنسان]

- [**النتيجة** : الله تعالى قادر على خلق الإنسان لأنه خلق السماوات والأرض وهن أعظم من خلقه]

فالعلاقة في الآية (التضمين) ، فـ (أكبر) تضمنت (خلق الإنسان) لنصل للنتيجة القياسية القائمة على التضمين (إن الله قادر على خلق الناس لأنه خلق السماوات والأرض وهي أكبر من خلقهم) فالقاعدة التضمينية تقول : من يستطع على الكثير يقدر على القليل . فتمثل الكثير الآية بـــ(خلق السماوات الأرض) والقليل بـــ(خلق الناس) .

وكذا الحال في قوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [٢٢] ، هذه الآية هي قريبة من الآية الأخرى السابقة لكنها في شأن الإحياء بعد الموت ، وهذا من خلق السماوات والأرض .

- **أما حجة التقسيم (التفريع)** : التي تُعد من الحجج شبه المنطقية ضمن حجج التعدية وهي تقوم على تقسيم الكل إلى اجزائه ، على عكس التضمين تضمين الجزء في الكل ، ومن أجل ذلك يعمد المُحَاجِج إلى توظيف تلك الاجزاء وإعطائها القوة الإقناعية التي كانت تحويها عندما كانت مجتمعة ، وعلى صاحب الخطاب ان يكون تعدادهُ للأجزاء كاملاً شاملاً حتى لا تكون حجته الإقناعية ناقصة وينهدم كل ما بناه صاحب الخطاب وربما يكون عرضة للسخرية [٢٣] ، وحجة التقسيم هي ليست حجة فقط ، بل تصلح أن ((تكون كذلك وسيلة لخلق بواسطة تعداد الاجزاء)) [٢٤] ، ونجد ذلك في الخطاب القرآني المقدس كما في قولة تعالى : ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [٢٥]

نلاحظ في الآية القرآنية الشريفة خطاباً حجاجياً من خلال قضيتين ينفي الأولى بـــ (ليس) ويستدرك الثانية بـــ(لكنّ) فتدور القضية الحجاجية حول قضيتين فيأتي الخطاب القرآني فيثبت القضية الثانية بتقديم الأدلة والبراهين عن طريق استعمال حجج التعدية ضمن حجة التقسيم فيأتي بقضية (**الْبِرَّ**) ومعناها ((الصدق

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤(أ) - المجلد ٤٦ - تشرين الأول لسنة ٢٠٢١

والعطاء ، وكل ما تُقرب به إلى الله عز وجل ؛ من عمل خير))[٢٦] ، وهنا جاءت حاوية على شروط الإيمان ، وصفات المتقين [٢٧] .

فقد أثبت الخطاب القرآني (**الْبِرَّ**) هو غير الاعمال التي يقومون بها من التوجه إلى المشرق أو المغرب فقد ابان (**الْبِرَّ**) من خلال تقسيمه الى اجزائه وذكرها كلها دون ان ينقص منها جزءاً لكي تكون حجة تامة فهو (**الْبِرَّ**) يتكون من اجزائه : (الإيمان بالله ويوم الحساب ويؤمن بالملائكة والكتاب والانبياء وينفق في سبيل الله للأقرباء واليتامى .... ويقيم الصلاة ويعطي الزكاة والذين يوفون العهد والصابرين) . فهذه اجزاء البر ذكرها القرآن في خطابه الحجاجي بصورة مفصلة ، فعمد إلى توظيفها واعطاها القوة الاقناعية لكل جزء تم تعداده في الآية .

ب-حجة المقارنة (L`argument de comparison)

وتعد الحجة المقارنة من الحجج شبه المنطقية القائمة على بنى رياضية ، وهي تتميز في حجاجها بالمماثلة والتشبيه ، وكون الحجاج فيها مبيناً على المقارنة بين الاشياء من أجل الحكم عليها وتقييم أدلتها ، وذلك لأننا نقارن بين الحقائق فيما بينهما ، لا من أجل الحكم في درجة الاختلاف أو التشابه بين تلك الحقائق .

و((ان المقارنة تستهدف الإشارة أكثر مما تسعى إلى الإخبار ، فإن اختيار طرفي المقارنة يجب أن يحظى بعناية كبرى ، لأنه يلعب دوراً أساسياً في فعالية هذه الحجة ، ويمكن الطرف المقارنة أن يستخدم لإشارة النفور)) [٢٨] .

أي انها تعمل على خلق الإشارة للمتلقي ، ومن ثم بعد ذلك تحبب اختيار أحد طرفي المقارنة ، أو خلق إثارة النفور عندما يكون الغاية من الحجاج اجتناب شيء معين ، يمكن القول إنها تقوم على نوع من القياس تؤدي إلى التقويم ، تقويم الاشياء والموضوعات في ضوء ما ينافسها أو ما يقابلها . [٢٩]

ويجب الاشارة إلى ان اصحاب التخصص قد اختلفوا في شأن هذه الحجة ، ولم يفصلوا في شأن حجة المقارنة فبيرلمان يعدها من الأساليب شبه المنطقية التي تعتمد على بنى رياضية باعتبار أن غاية وجودها المقارنة عملية قيس (Mesup) وهي عملية رياضية خالصة فيما يعدها آخرون من الحجج المؤسسة لبنية الواقع ... [٣٠].

وقد شغلت حجة المقارنة مساحة واسعة ومهمة في الاستراتيجيات الحجاجية في الخطاب القرآني لما لها من قوة اثارة المتلقي – كما أشرنا – كما في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾ [٣١]ففي الآية الشريفة خطاب حجاجي بين الباري عزّ وجل على لسان نبيه الكريم (صلى الله عليه واله) و الكافرين ، فقد اتخذ الخطاب الحجاجي داخل النص القرآني شكلاً معيناً هو المقارنة ضمن إطار (حجة المقارنة) تهدف إلى إثارة المتلقي أولاً عن طريق استخدام أسلوب الطلب بـــفعل الأمر (قل) واستعمال أسلوب الاستفهام بحرف (هل) ، وإثبات صفات أو صفة (الهداية إلى الحق) ((الله)) جل وعلا ونفيها عن

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤(أ) – المجلد ٤٦ – تشرين الأول لسنة ٢٠٢١

(شركائهم) ثانياً ، ونلاحظ دقة التعبير القرآني عندما حدد نوع الهداية (الى الحق) لان هناك هداية الشيطان يهدي إلى الباطل والشر . فبعد ان جرد الاصنام والذين يتبعونهم من كل مقومات الربوبية وأهمها الهداية فعقد مقارنة بين من أحق بالاتباع الذي يهدي الى الحق وهو (الله) تعالى وبين ما يدعون له ويعبدونه الذي لا يهدي (إلا أن يهدي) فعمد الخطاب القرآني إلى استثارة العقول والفطرة السليمة لبيان أفضلية الخالق وهو (الله) تعالى الذي يهدي وبين الذي ما يعبدون الذي لا يهدي ، فعد آخرون المقارنة طريقاً للاختبار لأنها تعرض امام المتلقي المعايير التي يستند إليها في هذا الانتقاء والاختيار أحد الطرائق التي باتت واضحة من خلال حجة المقارنة فختمت الآية ((كيف تحكمون)) أي بعد هذه المقارنة بات الطريق واضحاً فكيف تحكمون باتباعكم طريق غير عبادة الله .

ففي الآية القرآنية الشريفة دلالة واضحة في من أحق بالاتباع كون ما تدعون له لا يملك الهداية لنفسه فكيف يهدي غيره ففاقد الشيء لا يعطيه ، وقد أبانت هذه الحقيقة عن طريق استعمال حجة المقارنة .

وكثير من آيات الذكر الحكيم التي تحوي على مقارنات وبالخصوص استعمال حجة المقارنة على منوال الآية السابقة مثلما في قوله تعالى : ﴿ **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [٣٢] وفي قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ** ﴾ [٣٣] فنلاحظ في الآيتين الشريفتين مقارنة باستعمال حجة المقارنة على غِرار الآية السابقة بين ما يدعون وبين الله تعالى فذكرت الأولى المقارنة بينهما (إن صح التعبير) في صفة الخلق فقارنت بين الله تعالى الذي خلق كل شيء سبحانه وتعالى عما يشركون و الذي يدعون الذين لا يخلقون فمن أحق في الاتباع الذي يخلق أم الذي لا يخلق أما الثانية فقد زادت على ذلك فقارنت ليس ما يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً بل أكثر من ذلك انما هم مخلوقون ، وهذه أعلى درجات المقارنة ، تنتفي فيها التماثل بين الطرفين فما بقى مجال للمتلقي إلا الاذعان والتسليم لهذه الحجة الدامغة التي هي غير قابلة للدحض أو التضعيف أو التشكيك . ونجد ذلك في حجة المقارنة بشكل واضح وجلي في حجاج نبي الله إبراهيم (عليه وعلى نبينا السلام) فنجدها في سورة البقرة الذي حاج إبراهيم في ربه فعقدت مقارنة بين الذين كفروا و إبراهيم (عليه السلام) في صفات الخالق أما المقارنة التي أريد ان أذكرها التي اجراها إبراهيم (عليه السلام) بين الله تعالى و الاصنام التي يعبدها قومه من دون الله في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦)أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧)** ﴾ [٣٤] .

فنلاحظ الخطاب الحجاجي الذي دار بين إبراهيم (عليه السلام) وقومه الذين يعبدون الاصنام من دون الله ، حيث ابتدأ الحجاج (عليه السلام) ليس بقول (كلام) بل بعمل وهو تكسير الاصنام ، فقد استعمل (عليه السلام) حجة المقارنة بين الله تعالى والاصنام من خلال الأفضلية بصفتين أو جانبين الأولى : (الاستنطاق) حينما عمد إبراهيم (عليه السلام) إلى تكسير الاصنام وقال لهم (اسألوهم إن كانوا ينطقون) فقام (عليه السلام) بعقد مقارنة في كونهم لا ينطقون ، وهذا عدم النطق لا لعائق إنما في تكوينهم أي في القابل – لانهم حجارة

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤(أ) – المجلد ٤٦ – تشرين الأول لسنة ٢٠٢١

– على الرغم من انه لا وجود لأصل المقارنة بين رب الأرباب و حجارة هم صنعوها ، إلا إنهم يعتقدون بها بضررها ونفعها ، فهذا الذي جعل إبراهيم (عليه السلام) أن يعمد إلى هذه المقارنة حتى يهدم هذا الاعتقاد فعمد إلى استثارة العقول والفطرة السليمة لبيان أفضلية المعبود وهو (الله) تعالى على ما يعبدون من جانب النطق وبيان أفضلية الناطق على الصنم الذي لا ينطق . فجعلهم يرجعون إلى انفسهم وينظرون إلى ما يعبدون ، أما الجانب الثاني في التفضيل في النفع والضر فأن الذين تعبدون لا ينفعون ولا يضرون بل لا يستطيعون دفع الضر عن انفسهم فكيف تقارنوهم بالذي ينفعكم ويرزقكم ويدفع الضر عنكم ، فهذه مقارنة واضحة البرهان صادقة يشاهدونها بأم اعينهم ، من أحوال الذي يعبدون هذه المعايير قد وضعتها حجة المقارنة أمام المتلقي يستند عليها من أجل اختيار الافضل والصلح بين طرفي المقارنة وبصورة تكون يقينية غير قابلة للشك .

وهناك الكثير من النصوص القرآنية التي نجد فيها حجة المقارنة بصورة واضحة ، ولا يسعنا المقام لذكرها كلها ، لكن نشير إلى بعضها كما هو الحال في المقارنة بين المؤمنين (أصحاب الجنة) و الكافرين كما في قوله تعالى : ﴿ **لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ [٣٥] وهناك ايضاً نجد مقارنة بين الذكر والأنثى أو الرجل والمرأة ، بل بين النساء انفسهن عندما عقد الله تعالى المقارنة بين نساء النبي (صل الله عليه وسلم) و نساء المسلمين في قوله تعالى : ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)** ﴾ [٣٦] .

فنلاحظ المقارنة واضحة بين المؤمنين أي طرفي المقارنة هم من المؤمنين نساء النبي ونساء المسلمين وكانت المقارنة في الجزاء او الثواب والعقاب فكانت أفضلية الثواب لنساء النبي مرتين وكذلك العقاب يكون عليهن ضعفين ، فقد عمدت المقارنة إلى خلق الإشارة للمتلقي وهن نساء النبي فكانت حجة المقارنة فعالة ومؤثرة في هذا الصدد من حيث الترغيب بالثواب (أجرها مرتان) لمن تطع رسول الله (صلى الله عليه واله) بما أوصى ، والترهيب لمن تعصي (لها العذاب ضعفان) ، فقد أوضحت حجة المقارنة الخيارات التي تمكن المتلقي (نساء النبي) من انتقاء احسنها (الثواب والعقاب) وهناك الكثير من الآيات والنصوص الشريفة التي تشير إلى حجة المقارنة إلا إننا نكتفي بهذا القدر .

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤(أ) – المجلد ٤٦ – تشرين الأول لسنة ٢٠٢١

الخاتمة

إن الحجاج هو عملية تواصلية بين طرفين ، أو عدة أطراف ، يسعى فيها صاحب الخطاب (المُرسِل) الى أفضل الطرائق والأساليب والتقنيات الحجاجية ، للوصول إلى أقصى درجات الإقناع والإذعان من خلال تقنيات حجاجية سواء كانت منطقية أو شبه منطقية ، أو بلاغية ، أو لغوية يقدمها بشكل حجج ليصل الى النتيجة المرجوة .

و من خلال دراستنا للحجاج في الخطاب القرآني في هذا البحث ، توصلنا إلى النتائج التالية :

١. إن النص القرآني يعد من أكبر النصوص تحقيقاً للإقناع لما فيه من حجج و براهين ذات بعد حجاجي عالٍ .
٢. تعدد التقنيات الحجاجية شبه المنطقية في الخطاب القرآني من المعتمدة على البنى المنطقية ، التي تعتمد العلاقات الرياضية ، مما أدى ذلك إلى تنوع في الخطاب فيه .
٣. أفاد الخطاب القرآني الخاص بالمؤمنين والكافرين التقنيات الحجاجية الاتصالية التي عملت على التقريب بين العناصر المتباعدة من خلال الحجج التي اعتمدتها .
٤. وظف خطاب المؤمنين والكافرين في القرآن الحجج شبه المنطقية التي اعتمدت العلاقات الرياضية ، والتي استمدت قوتها الحجاجية من القواعد الرياضية .
٥. استعمل الخطاب القرآني حجج التعدية والتي شملت حجة التضمين أو حجة إدماج الجزء في الكل ، وحجة التفريع أو التقسيم ، والتي عدت هذه الحجج من أقوى الحجج كونها تترك أثرها على العقل والعاطفة لدى المتلقي .
٦. استعمل الخطاب القرآني الموجه للمؤمنين أو الكافرين أو الصادر منهما حجة المقارنة ، لما تتميز به من المماثلة والتشبيه ، وإنها تقوم على نوع من القياس يؤدي إلى التقويم بين الأشياء والموضوعات في ضوء ما يقابلها .

وختاماً أقول الحمد لله رب العالمين ، وأرجو أن أكون قد وفقت بعرض شيء من جوانب القرآن الكريم وهو الجانب الاقناعي .

هوامش البحث :

(١) بلاغة الحجة في خطاب الخفاء الراشدين دراسة وصفية لنماذج خطابية ، ص٢٩ .
(٢) ينظر : تاريخ نظريات الحجاج ، ص ٤٦ .
(٣) المصدر نفسه /٤٦.
(٤) ينظر : الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، ص ٨٨ .
(٥) ينظر : الحجاج في قصص الامثال القديمة – مقاربة سردية تداولية ، ص ١٤٤ .

(٦) و يمكن الاشارة الى الباحثين أو بعض الباحثين الذين اعتمدوا هذا التصنيف منهم الدكتورة سامية الدريدي في كتابها (الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه و الدكتور محمد سالم محمد الامين الطلبه في (الحجاج في البلاغة المعاصرة) و الدكتورة فضلية قوتال في (حجاجية الشروح البلاغية و ابعادها التداولية) و غيرهم كثير .
(٧) ينظر : في نظرية الحجاج /ص ٤١. وينظر : نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان / ص ٥٧- ٥٨ . و الحجاج في البلاغة المعاصرة / ص ١٢٧ – ١٣٢ . و تاريخ نظريات الحجاج / ص ٤٧ – ٥٨ .و الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه / ص ١٩٠ . و حجاجية الشروح البلاغية وابعادها التداولية / ص٤١ . وشاييم بيرلمان / رائد البلاغة الجديدة / ص ٤٢ – ٤٥ . وبلاغة الاقناع في المناظرة / ص ٩٢ – ٩٤ . وحجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الامام علي (عليه السلام) / ص ١٢٥ . وغيرهم ....
(٨)الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه / ص ١٩٠ .
(٩) ينظر : (الحجاج في النص القرآني) سور الحواميم أنموذجاً .
(١٠) ينظر : الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه/ / ص ٢٠٣ . و حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية فضيلة / ص ١١٧ .
(١١) ينظر : في نظرية الحجاج / ص ٤٦ . و الحجاج في البلاغة المعاصرة / ص ١٢٦ . و نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان /ص ٦٦ .
(١٢)ينظر : في نظرية الحجاج / ص ٤٧ . و نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان /ص ٦٦- ٦٧ .
(١٣) ينظر : الحجاج في الشعر العربي / ص ٢٠٥ .
(١٤) ينظر : الحجاج والحقيقة وأفاق التأويل / ص ١٤٢ .
(١٥)الحجاج في الشعر العربي / ص ٢٠٥ .
(١٦) ال عمران / ٥٩
(١٧) الروم / ٩ .
(١٨) ينظر : نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان / ص ٦٦.
(١٩) غافر / ٥٧.
(٢٠) غافر / ٥٦.
(٢١) الحجاج في البلاغة المعاصرة / ص ١٢٩ .
(٢٢) الاحقاف / ٣٣ .
(٢٣) ينظر : الحجاج في البلاغة المعاصرة / ص ١٢٩ . و الاستعارة / ص ٣٨٠ . و نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان / ص ٦٨.
(٢٤)نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان / ص ٦٩.
(٢٥) البقرة / ١٧٧ .
(٢٦) لسان العرب / ص ٢٨٤ – ٢٨٥ .
(٢٧) تفسير القمي :ص ١ / ٧٣ .
(٢٨)نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان / ص ٧٠.
(٢٩) ينظر : بلاغة الاقناع في المناظرة / ص ٩٣ – ٩٤ .
(٣٠) ينظر : الحجاج في الشعر العربي /ص٢٤٨.
(٣١) يونس / ٣٥ .
(٣٢) النحل / ١٧ .
(٣٣) النحل ٢٠ .
(٣٤) الانبياء / ٦٢ -٦٧ .
(٣٥) الحشر / ٢٠ .
(٣٦) الاحزاب / ٣٢، ٣٣ .

المصادر والمراجع

ــ القرآن الكريم .

- الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، د. محمد الولي ، كنوز المعرفة ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٦ .
- بلاغة الاقناع في المناظرة ، د. عبد اللطف عادل ، دار و مكتبة عدنان ، للطبع و النشر و التوزيع ، بغداد – العراق ، ط١ ، ٢٠١٣ م .

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤(أ) – المجلد ٤٦ – تشرين الأول لسنة ٢٠٢١

- بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الراشدين ، دراسة وصفية لنماذج خطابية ، أ. هناء عبد الرحمن حلاسة ، مركز الكتاب الأكاديمي ، عمان ، الاردن ، ط١ ، ٢٠١٦ م .
- تاريخ نظريات الحجاج ، فيليب بروتون ، و جيل جوتيه ، ترجمة : الدكتور محمد صالح الغامدي ، مركز النشر العلمي – جامعة الملك عبد العزيز ، السعودية ، ط١ ، ٢٠١١ م .
- تفسير القمي ، ابي الحسن علي بن إبراهيم القمي ، تحقيق : السيد طيب الموسوي الجزائري ، دار الكتاب للنشر و التوزيع ، قم – إيران ، ط٣ ، ١٤٠٤ ه .
- الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر) ، د. محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨ م
- الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه ، د.سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، اربد ، الاردن ، ط ٢ ، ١٤٣٢ه – ٢٠١١ م .
- الحجاج في النص القرآني (سورة الحَوَاميم أنموذجاً) ، هاني يوسف أبو عليون ، (رسالة ماجستير) ، الاردن ، جامعة مؤته كلية الدراسات العليا ، قسم اللغة العربية و آدابها ، ٢٠١٨ م .
- الحجاج في قصص الأمثال القديمة مقاربة سردية تداولية ، د.عادل بن علي الغامدي ، دار كنوز المعرفة ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٦ .
- الحجاج والحقيقة وافاق التأويل ، د.علي شعبان ، دار الكتاب ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٠ م .
- حجاجية الشروح البلاغية وابعادها التداولية ، د. فضلية قوتال ، دار كنوز المعرفة ، عمان – الاردن ، ط١ ،١٤٣٨ ه – ٢٠١٧ م .
- حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الامام علي (عليه السلام) ، د. كمال الزماني ، عالم الكتاب الحديث ، أربد ، الأردن ، ط١ ،٢٠١٢ م .
- شاييم بيرلمان رائد البلاغة الجديدة ، د.جميل حمداوي ، دار الريف للطبع والنشر ، المملكة المغربية ، ط١ ، ٢٠١٩ م .
- في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) ، د. عبد الله صولة ، دار سكيلياني للنشر و التوزيع ، تونس ، ط١ ، ٢٠١١ م .
- لسان العرب ، للإمام العلامة ابن منظور (٦٣٠ – ٧١١ ه) ، اعتنى بتصحيحه : أمين محمد عبد الوهاب ، و محمد الصادق العبيدي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ،١٤٣١ه – ٢٠١٠م .
- نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان ، د. الحسين بنو هاشم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١٤ م .

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤(أ) – المجلد ٤٦ – تشرين الأول لسنة ٢٠٢١